من حديث الخميس

في المركز الإسلامي في آخن – مسجد بلال

(سننشر تحت هذا العنوان إن شاء الله قبسات من بعض الأفكار والآراء التي ترد خلال حديث الخميس أو على هامـــشه في المركز الإسلامي في آخن (مسجد بلال) وذلك استجابة لرغبة كثير من الشباب في كثير من الأقطار الذين يحبون أن يعيشوا مـــع إخوانهم في المركز هذه الأفكار والآراء على البعد

ونحن ننقل هذه القبسات التي ننشرها ، عن أشرطة التسجيل ، أو ما قيّده بعض الإخوة بأقلامهم وهم يستمعون)

نحن في واقعنا الحالي لسنا على مستوى إسلامنا ومهمتنا وعصرنا .. وعلينا أن نرتفع إلى مستوى إسلامنا ومهمتنا وعصرنا إن أردنا أن نربح معركة الإسلام

ومن أشدّ ما نُبْتَلى به أن نتوهم أن مشكلتنا تكمن في عالمنا الخارجي أو في ظروفنا الخارجية وحدها ، وهي إنمـــا تكمن بالدرجة الأولى في أنفسنا ، ومفتاح هذه المشكلة في أيدينا نحن قبل أن يكون في أيِّ يدٍ أخرى

ولو أننا فَتَّشنا في أنفسنا أفراداً وجماعاتٍ عن الشروط والصفات المؤهِّلة لنصر الله عزَّ وجلَّ كما وردت في القرآن الكريم ، وكما تمثَّلَت فيمن تحقق بهم النصر من أصحاب رسول الله ﷺ وسواهم على توالي العصور .. لافتقـــدنا في أنفسنا كثيراً من هذه الصفات ، أو لافتقدناها على مستواها المطلوب على الأقل

ولقد تعودنا مع الأسف أن نبرر فشلنا وإخفاقنا ، وأن نتهرب من تبعتنا وواجبنا بإلقاء التبعة كلها على الظروف وعلى العوامل الخارجية عنا .. ولا ننكر دور الظروف والعوامل الخارجية وأثرها ، ولكن ذلك كله يـــأتي بالدرجـــة الثانية ، ولا يكفي لتفسير واقعنا الراهن بحال من الأحوال ؛ بل إنّ في ظروفنا ما هو إيجابي أيضاً ، وما هو عون لنا لو كنا مؤهلين للاستفادة من الظروف والفرص والإمكانات المتوفرة

أيها الإخوة

إنّ تجاهل العلة الحقيقية لا يلغي وجود العلة ، ولا يساعد على علاجها ، بل يضلل عن العلاج الناجع .. والعلـــة تشتد وتستشري وتزداد استعصاء على العلاج يوماً بعد يوم

وموقف التبرير والتهرب من التبعة هو في ذاته موقف غير إسلامي ، موقف يدل على أن الإسلام في صـــاحبه لم يتجاوز العنوان وبعض المظاهر والمشاعر الباهتة ، ولم يتغلغل كما ينبغي في الفكر والشعور والضمير ، ولم تتحول بـــه الشخصية كلها إلى شخصية إسلامية ، والأخلاق إلى أخلاق إسلامية ، والمواقف إلى مواقف إسلامية

فالشعور بالتبعة والنهوض بها من أخص خصائص الشخصية الإسلاميّة والأخلاق الإسلاميّة

والأمانة التي انفرد الإنسان بحملها في قول الله عزَّ وجلّ :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّـــهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب : ٧٢]

إنما هي بحَقٍّ أمانةُ الابتلاءِ بتَبِعَةِ التكليفِ وحريةِ الإرادةِ ومسؤوليةِ الاختيار كما يقول بعض المفسرين

وإيمانُ المسلم بمسؤوليته بين يدي الله عزَّ وجلَّ عن عمله وعما كلَّفه الله القيام به جزءٌ من عقيدته لا يقبل الجدال

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤]

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣]

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۞ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِـــذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦-٩]

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٣-١٤]

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ [النجم : ٣٩-٤٠]

ولا أطيل عليكم في سرد الشواهد فهي كثيرة ، وقد مرَّ بنا شيء منها في دروس التفـــسير ، ولا يجهلـــها أكثـــر المسلمين ، ولكنهم لا يتفكرون فيها ، ولا يدركون أبعادها ، ولا يتأثرون بها ، ولا يعملون بمقتضاها .. وهذا هـــو شأنهم في كثير مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

وإذا كان غير المسلم يقبل لنفسه التبرير والتهرب ومخادعة الناس .. ويظن نفسه رابحاً بذلك ، فإن المسلم الحـــق يأبى بإسلامه هذا المسلك ، ويحس إحساساً عميقاً بمسؤوليته أمام الله تعالى فيما يضمر ويظهر

﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَـــهُ أَمَـــدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٩-٣٠]

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦]

﴿ ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]

والصدق -كما يقول ابن تيمية- هو الفارق بين الإيمان والنفاق ، فالمظهرون للإســـلام ينقـــسمون إلى مـــؤمن ومنافق ، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق ، فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب ؛ ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق كما في قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيـــمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٤-١٥]

وقال تعالى :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْـــصُرُونَ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨]

ولذلك فإنني أدعو الطلائع الإسلاميّة على الدوام إلى الصدق في مواجهة النفس ومواجهة الواقـــع ، وإلى تحمـــل التبعات مهما ثقلت التبعات ، وإلى رفض المخادعة والتبرير والفرار من الواجبات

قد يكون ذلك محرجاً وثقيلاً على النفس ومؤلماً أشدَّ الألم ، ولكن لا بد لنا نضع أيدينا على مكامن العلـــة ، وأن نغوص بها أعماق الجراح إذا أردنا التشخيص الصحيح والمنطلق الصحيح في العلاج ، وإذا طلبنا راحـــة ضـــميرنا لا إشباع غرورنا ، وإرضاء الله لا مخادعة الناس .. ولْنَتْرُكِ المخادعة والتبرير لغيرنا من الذين لا يريدون أن يغـــيروا مـــا بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم

إننا نريد أن نكون صادقين مع ربنا ، صادقين مع أنفسنا ، صادقين مع الناس

ونريد للإسلام جيلاً صادقاً شجاعاً في مواجهة نفسه وواقعه ، وحمل تبعاته على كل صعيد ، جيلاً يملك القـــدرة على الاعتراف بالواقع الأليم المخجل ، لا ليستسلم له ولكن لِيُغَيِّرَه من الجذور ، جيلاً يحمل تبعته الخاصة وتبعة سواه من المسلمين الذين يتهربون من الاعتراف بالواقع وحمل التبعات

إنّ هذا الجيل بهذه الصفات وبالصفات الأخرى التي طالما تحدثنا عنها في هذا المكان وفي غير هذا المكان هو الجيل الذي يمكن أن تُحقَّقَ على يديه الآمال الكبار